قارئة الفنجان
توحيد هارون

المقدمة

.. لم يحدث أن قرأت كتابا تتخطى صفحاته المائة صفحة إلا نادرا

كنت دوما أتجاهل التفاصيل وأعبر الصفحات بسرعة لأستخرج .. منها ما وراء الكلمات

.. لذا من النادر أن تجد كتابا لي يتجاوز المائة صفحة

.. لا أحب الإسراف في التفاصيل ولا الإطالة

.. ستجد رواياتي تختصر أبطالها بصدق وعفوية دون مماطلة

.. ويشرفني جدا أني لا زلت أؤمن بوجود العشق الحقيقي

.. وجود عشق ك قيس وليلى

لا زلت أؤمن بوجود الفرسان النبلاء الذين يقفون في وجه الموت ..لحماية حبيباتهم

والأميرات الصادقات اللواتي يحفظن عهود حبهن وتنتظر كل . منهن فارسها أبد الحياة بوفاء وإخلاص

توحيد

للحب ألف نبضة في القلب

لكن للعشق نبضة قلب واحدة تستمر كل العمر ولاتموت

للوهلة الأولى ظنت بأنها في بيت مشبوه..
كل مافي ذلك المكان يوحي بهذا..
الجلسة العربية على الأرض..
أغاني الظار..
علب السجائر متعددة الأشكال..
فواكه وقهوة وربما مشروبات أخرى لم يسعفها عقلها البرئ للتعرف عليها..
جلست(حورية) قرب صديقاتها الثلاث اللاتي أتت معهن من الجامعة الى قارئة الفنجان التي كانت تسكن بالقرب من إحداهن في أحد أحياء أمدرمان العتيقة..
منذ دخولهن من بوابة المنزل الذي يبدو من الخارج عادياً لاريب فيه ولفرط بساطته مبني من الطوب الأحمر والجالوص..
لاشئ غريب به إلا العربة الفارهة التي تركن أمام بابه..
عند دخولهن تبين أن صاحب تلك العربة هنا لذات الغرض الذي أتين لأجله..
كان يجلس على كراسي قبالة القارئة وصينية من الودع أمامها ينظر اليها بشغف وإعجاب وكأنها تقرأ الغيب له في تلكم السبع ودعات البيضاء..
جلست قربه فتاة تدخن بشراهة وتنفخ الدخان عليهم ..
طلبت منهن القارئة الإنتظار حتى تفرغ من ذاك الرجل وقادتهن إحدي فتياتها الى تلك الجلسة العربية في غرفة جانبية..
هناك تجلس العديد من الفتيات بينهن إمرأة تناهز الخمسين تبدو كالقوادة..
نظرت اليهن متفحصة من بين دخان سيجارتها المشتعلة من الواضح جداً أنها تتعاطى المخدرات أيضاً بدا ذلك جلياً على ملامح وجهها..
ثمة فتاة متزوجة تبدو من أسرة محترمة وتدعي بأن لديها أبن..
هي الأخرى كانت تشعل سيجارة خلف الأخرى..
ليس من نوع السجائر الموزع في كل مكان بالجلسة وإنما نوع آخر من داخل حقيبتها كما كانت تحمل ولاعة فاخرة..
ثمة أربع فتيات أخريات يتعاطين أنواع من السجائر ويتبادلن الأحاديث على أنغام موسيقى الظار الملتهبة..

لم يهتم أحد لوجودهن..
أتت الفتاة التي قادتهن الى الجلسة تحمل صينية بها أكواب مشروب بارد قدمتها لهن مع صحن من الفواكه المشكلة والمقطعة بنظام..
ثم طلبت منهن أخذ راحتهن في فعل مايرغبن بفعله..
زميلتها التي أتت بهن الى هذا المكان إقترحت عليهن خوض تجربة التدخين..
قفزت المرأة المتزوجة الى حوارهما دون دعوة :
_ أهذه المرة الأولى لكن هنا؟
هززن رؤوسهن موافقات بينما وضحت لها (مريم) :
_ هما فقط، أنا أسكن قريباً من هنا وقد أتيت منذ فترة.
قالت المرأة الخمسينية وهي تتفحص (مريم) بنظراتها الثاقبة :
_ أجل.. أجل، لقد أتت قبل اليوم، ما أسمك؟
_ مريم.
_ أجل.. مريم، وتلك ما أسمها؟
أشارت الى (حورية).. ،
_ أسمها.. حورية.
حيتها (حورية) بإبتسامة مضطربة.. وقد شعرت بالخوف يتسلل الى قلبها جراء نظرات المرأة الخمسينية لها..

رفضت (حورية) مشاركتهن التدخين وإنزوت في الركن تنظر اليهن وتسترق السمع مكتفية بحبات (التسالي) و(النبق)..
كان الحديث الدائر عن (فتح العلبة)..
تحدثت إحداهن وقد بدا جلياً عليها بأنها طالبة جامعية أخطأت طريقها ربما لتجد نفسها في هذا المكان..
_ يوم الأربعاء الماضي فتحت لي الشيخه العلبة.
تساءلت مريم التي كانت مهوسة بمثل هذه الأمور :
_ لابد إذا من أنك تقرأين الودع والفنجان بمساعدة (الجماعة).
ردت الفتاة :
_ في نفس اللحظة التي تم فيها فتح العلبة لي نزلت كل جماعاتي وقرأت للشيخة والجالسين معها لدرجة صدق فيها كل ما قلته لهن، ثم لم أقرأ لأحد بعدها.
أيدت قولها المرأة الخمسينية :
_ في ذلك اليوم أخبرتني عن خاتم ذهب لي مفقود منذ سنوات، وصفت لي مكانه بدقة ووجدته هناك.
إتسعت أعين (حورية) وصديقاتها دهشة..
_ من منكن لديها جماعة، أو سبق لها أن فتحت علبة.
كان السؤال موجه الى شلة (حورية) بمن فيهم هي من فتاة سمراء تجلس قبالتهن.
_ ولا واحدة منا... (ردت مريم).
قطع عليهن الحديث أغنية زار ملتهبة نهض على إثرها ثلاث فتيات وهن يرددن :
_ المجد ل(لولا).
كن يرقصن بغرابة ويتمايلن مع أنغام الموسيقى الصاخبة.

أشعلت المرأة الخمسينية أربع سجائر دفعة واحدة ونهضت تنافس الفتيات في الرقص.
بعد إنتهاء الأغنية أخذن الجالسات يعددن أسماء الجماعات من بشير والخواجه وغيرهم والأيام التي يأتون فيها.

بعد مرور ما يقارب الساعتين طلبت منهن قارئة الفنجان التي تبين لهن أنها شيخة وترى بالودع أن يجلسن اليها...
دلفن الى غرفة جانبية..
بها سريران فخمان يتوسطهما مقعد كبير يملأ الفراغ بينهما..
جلست عليه الشيخه وأمامها صينية الودع وفي يدها مشروب أبيض كالماء ..
طلبت منهن (مريم) أن تضع كل واحدة مالا (بياض) ونفذن طلبها..
إستقروا حول الشيخة بعد أن وضعن النقود تحت صينية الودع..
سألتهن الشيخة من أين أتين وكيف عثرن على مكانها..
كانت الإجابة واضحة..
(مريم) هي من دلتنا على المكان..
إبتسمت الشيخة برضا وبدأت عملية رمي الودع..
_ مريم.. ستتزوجين قريباً من حبيبك، خلال هذه السنة..
ثم دققت النظر في الودع وهي تردف :
_ لكن ثمة خلافات بينكما..
ثم نظرت الى (مريم) تستجوبها كضابط متمرس في التحقيق،
هزت (مريم) رأسها مؤكدة :

_ بلى، خلافات كثيرة.
رددت الشيخة :
_ ستزول كل تلك الخلافات، ستزول كلها.
ضمت حبات الودع بين أناملهاثم أعادترميها فوق الرملالأبيض المتناثر على الصينية..
_ حورية.. عائلتك تخاف عليك كثيراً، من ذلك الرجل الذيينظر اليك طوال الوقت؟
ألتقت عيني (حورية) بعيني الشيخة التي تنتظر منها رد سريع..
قالت متلعثمة :
_ بالطبع أنهم يخافون علي جداً.
_ والرجل من؟ (تساءلت الشيخة بإصرار)
_لا أعلم. (ردت حورية)
_ أنه متعلق بك، في عينيه أنتي طفلة يقلق عليها منمصائب الحياة.
ثم أضافت مازحة :
_ لو علم أنك هنا لجن جنونه.
_ لكنني لا أعرفه.
_ أنظري حولك، هو قريب منك للغاية، لا تغيبين عن نظره مطلقاً.
_ صفيه لي (قالت حورية متشككة)
_ لقد وصفته لكـ بما فيه الكفاية.
أنقضت نصف ساعة وهن يستمعن الىالقارئة.. قبل أنتتمطى بتعب وهي تشعل سيجارتها طالبة منهن القدوم في يومالأثنين المقبل لأنها لم تعد ترى جيداً.
قبل خروجهن أستوقفت (حورية) قائلة :
_ تعالي في يوم منفرد... ليس معهن.
وافقتها(حورية) بإيماءة من رأسها وهي تغادر.
عندما أبتعدن عن الدار قليلاً أستعادت كل منهن ما حدثتهعنها الشيخة..
في عقل(حورية) كانت تدور أسئلةلا أجوبة لها عن ذلكالرجل الذي يخاف عليها للحد الذي سيجن فيه جنونه إذا علم بأنهاكانت في منزل شيخة ظار مشبوه والأخطر من هذا أن الشرطةقد داهمته من قبل كما سمعت من الفتيات في الجلسة.

بعد عدة أيام وهما تجلسان في المقاعد الأخيرة للقاعة طلبت (مريم) من (حورية) مرافقتها الى الشيخة مدعية بأنها ستحضر بعض الأغراض منها..

_ أخذت وعد من الشيخة أن تجهز لي محاية لحبيبي حتى لايرى في الكون غيري، ويجب أن تذهبي معي لتعرفي منها من ذلك الرجل الذي حدثتك عنه المرة السابقة.

وافقت (حورية) وهي تقنع نفسها بأنها ستكون آخر مرة تذهب فيها الى ذلك المكان.

وبما أن (حورية) تسكن في شقة مع بعض الفتيات لأن أهلها في الأمارات العربية المتحدة لم تسأل أحد ورافقت (مريم) بعد أنتهاء

اليوم الدراسي حيث أستأجرتا ركشة قادتهما الى منزل الشيخة بأمدرمان. .
كان كل شيء مختلف هذه المرة..
الشيخة تتوسط الأخريات في الجلسة إضافة الى المرأة الخمسينية ووجوه جديدة وآخريات ألتقين بهن في الزيارة الأولى..
طلبت الشيخة من (حورية) أن تجلس على شمالها..
أغاني الظار تخرج بعلو صوتها من سماعة المسجل الكبير، السجائر والمشروبات الساخنة والباردة وطبقاً من المسليات البلدية..
ينتصفون الجلسة..
_ أين أهلك ياحورية. (إستفسرت الشيخة)
ردت (حورية) وهي تأخذ رشفة من فنجان قهوتها :
_ في دولة الإمارات العربية.
_ هل تقيمين مع أقربائك.
_ لا، أقيم في شقة مع فتيات آخريات.
_ لماذا؟ ألايوجد لديك أقرباء؟
_ بلى، لدي عم واحد هو شقيق والدي الأكبر.
أشعلت المرأة الخمسينية سيجارة مدتها ل (حورية) وهي تقول :
_ عليك تجربة هذا الصنف، كل فتيات (الشهادة العربية) يتناولنه.
إعترضت (حورية) بسرعة :
_لا لا.. أنا لا أدخن.
تداخلت أصوات الضحك لسذاجة (حورية) مع الأغنيات وحركة الودع.
_ جربي، لابد من أن لديك فضول.
قالت أحداهن، ثم وافقتها الشيخة :
_ جربيه.. أنه صنف خفيف لن يضرك.
وسط إصرارهن أمسكت (حورية) السيجارة بأنامل مرتجفة وقربتها من شفتيها..
_ خذي نفس عميق وأخرجي الدخان من أنفك(قالت مريم وهي تشرح لها ذلك فعلياً)
أنصتت (حورية) لتلك النصائح وحاولت تطبيقها لكنها رمت السيجارة بعيداً إثر نوبة السعال التي أنتابتها..
أبتلعت كميات كبيرة من المياه ورفضت تكرار التجربة مفضلة التركيز على قراءة الودع..
قالت الشيخة موجهة الحديث الى(مريم):

_ (محايتك) أصبحت جاهزة، يجب أن تخلطيها مع عصير طبيعي ترتشفان منه أنتما الأثنان معا بشرط أن تضعي الكمية الأكبر في مشروب حبيبك.
بانت معالم الفرح على وجه (مريم) التي نهضت فوراً لتتراقص في منتصفهن وتدعوهن مقدما لزواجها.
أتت فتاة من الصالة الخارجية لتخبر الشيخة بأن رجلاً ينتظرها هناك.
_ من هو؟
_ لم يخبرني، قال فقط بأنه يريدك.
ألتفتت الشيخة الى (حورية) قائلة برجاء عفوي :
_ حورية.. أنتي متعلمة وجميلة أذهبي أليه وأعرفي منه ما يريد.
كان طلبا مفاجئاً ل(حورية) التي نهضت بحيرة قاطعة الممر الضيق الى الصالة الخارجية.
كان الرجل جالساً في مقعد مريح قرب النافذة واضعا ساقا فوق الأخرى.. وينظر مترقبا نحو الباب.
_ مرحباً.
حيته (حورية) وظلت واقفة تنتظر منه جواباً..
لم يتزحزح من مكانه قيد أنملة وعينيه تنظران أليها من أعلى إلى أسفل وتبتسم.
_ الخالة طلبت مني سؤالك عما تريد.
_ أخبريها بأن البضاعة رائعة.
أنتابتها الحيرة وهي تتساءل :
_ أي بضاعة.
_ أخبريها بهذا وستأتي لرؤيتي.
لم تكن تفهم شيئاً مما يقول ومع هذا فقد أوصلت كلماته كما سمعتها تماماً الى الشيخة التي أبتسمت بإرتياح وإستأذنتهم لتذهب اليه.

شعرت (حورية) بالمكان يضيق بها ورائحة تدخينهم تجثم على صدرها.. كانت تتنفس بصعوبة وكأنها تختنق..
فتسحبت من بينهم معتذرة :
_ لدي حساسية وأعجز عن التنفس هنا، سأخرج الى الفناء قليلاً.
لم تعر أدنى أنتباه لضحكات السخرية التي لحقت بها وخرجت من الجلسة الى الفناء الصغير أمامها..
وصل الى أذنها صوت الشيخة وضيفها مخترقا خشب النافذة.. رغما عنها أنصتت الى حديثهما الدائر..
_ لن نقبل بهذا السعر، الفتاة أكثر من جميلة.
_ أرى هذا، لكن دعينا نتفق على سعرها لاحقاً..
_ حسناً.
_ متى ستكون جاهزة؟ قلتي لي ما أسمها؟
_ حورية، لم تتناول شئ بعد.. أمهلني حتى المساء.
من هول صدمتها لم تعد تسمع شيئاً بعد هذا، مدت يدها المرتجفة تتناول هاتفها من جيب معطفها المخملي..
لم يخطر على بالها أحد غيره في تلك اللحظة، صحيح بأنهما لايطيقان بعضهما و يتشاجران على أتفه الأمور، لكنه لن يتخلى عنها في موقف كهذا..
بحثت عن أسمه في سجل الهاتف..
عندما عثرت عليه حثت أناملها الخائفة على كتابة رسالة اليه..
(أحمد أرجوك تعال وخذني من هنا، أنا في منزل مشبوه بأم درمان، من فضلك أسرع)
ثم كتبت العنوان ووصف المنزل وضغطت على زر الإرسال..
تم الإستلام..
تأكدت بأن الرسالة قد وصلت إليه..
مصيرها الان بين يديه..
أما أن يتركها متجاهلا تلك الرسالة أو يضع كل عداوتهما جانبا ويأتي كأبن عم شهم لأنقاذها..
أسرعت (حورية) بالعودة الى مكانها في الجلسة حتى لا تخرج الشيخة وتكتشف بأنها كانت تتلصص على حديثها.
نظرت إلى (مريم) تلك الصديقة التي تعرفت عليها منذ العام الماضي وأعتبرتها كأخت لها..
لماذا ترمي بها الى نيران جهنم بموت ضميري خالص؟ أي جرم أرتكبته في حقها لتعاقبها بهذه الطريقة؟
لقد خانها أحساسها عندما صور لها بأن (مريم) طيبة ونقية رغم أنفتاحها الشديد في اللبس والمكياج والتعامل مع الجنس الآخر..

لم تفطن قبل الان الى أن(مريم) من أسرة بسيطة تسكن بيت أقل من العادي ومن المحال أن يتجاوز مصروفها اليومي إحتياجاتها الأساسية لتشتري بالفائض كل تلك الثياب والأحذية والحقائب الفاخرة..
(مريم) التي أستغرقت في نفخ دخان سيجارتها عالياً لم تلتفت لنظرات الحزن في عيون (حورية)..
المرأة الخمسينية والفتيات كن يتحدثن عن صالات الأعراس في الخرطوم وأفخمها.. كل منهن تروي تفاصيل مناسبة ذهبت بها الى تلكم الصالات ومن قابلن هناك من العائلات المشهورة مادياً في السودان..
نظرت (حورية) الى ساعة هاتفها..
مرت نصف ساعة على رسالتها..
سبحت في ذاكرتها تبحث عن موقف واحد فقط لم تتفاقم فيه عداوتها مع أبن عمها أحمد..
موقف يشفع لها عنده ويلين قلبه عليها..
وتذكرت أول أجازة أمضتها هي ووالديها وأختها الصغرى في منزل عمها، كانت حينها في الثانوية العامة،
ذات مرة رافقها(أحمد) الى السوق لتشتري بعض الهدايا لصديقاتها في الأمارات.. ظل ممسكاً بيدها في زحمة السوق العربي حتى لاتتوه منه، تلك كانت المرة الوحيدة التي تعامل فيها بلطف معها..

تذكرت(حورية) زيارتها لمنزل عمها بعد أستقرارها في الجامعة والسكن..
كانت تتجاذب أطراف الحديث مع (سمية) زوجة عمها حول طاولة الطعام أمام المطبخ عندما عاد (أحمد) من العمل..
سلم عليها وهو ينظر الى ثيابها مشمئزا :
_ حورية.. ماهذا الذي ترتدينه؟ أأنتي قادمة من حفل ما.
زجرته والدته وهي تبتسم ل(حورية) معتذرة :
_ أحمد يحب المزاح كما تعلمين ياحورية.
ضرب كفيه ببعضهما حيرة وتوجه صوب غرفته..
كانت حينها ترتدي فستان أزرق من الحرير جلبته معها من الإمارات، مفتوح من الخلف وأكمامه حتى منتصف يديها فقط.
لم يخرج(أحمد) من غرفته إلا حين مناداة والدته له ومطالبته بإيصال (حورية) الى مكان سكنها.
كان يتمتم بكلمات غير مفهومة عندما جلست على المقعد الأمامي قربه..
أدار مقود السيارة وأنطلق.
_ هذه المهزلة التي ترتديها هل تذهبين بها الى الجامعة أيضاً؟
إتسعت عينيها دهشة وهي تردد :
_ مهزلة!
_ لاصفة أخرى لما ترتدينه غير مهزلة.
_لا شأن لك بما أرتدي.
_ وديني وما أعبد لو منحني والدك فرصة لألبستك نقاب تسترين به نفسك.
أنفعلت (حورية) :
_ من أنت حتى تتحدث معي بهذه الطريقة، سأرتدي مايعجبني.. كل الفتيات يلبسن هكذا.
_ أنتِ أبنة عمي.. عرضي وشرفي .. لا شأن لي بالفتيات الأخريات.
_ إذا إلتزم حدودك كأبن عم ولا تتخطاها.
ظلا صامتين حتى أوصلها الى الشقة التي تقيم بها وغادر.
ثاني خلاف بينهما عندما أرسله والده يوم جمعة ليحضرها من الشقة الى المنزل..
كان ينتظرها في الإستقبال عندما أتت تتبختر في بنطال من الجينز وقميص أنثوي يعلو ركبتيها.
_ أنت.
قالت بضيق قبل أن تضيف :

_ أخبرت عمي أن يرسل أمجد أو علاءالدين.
_ مهلا مهلا يارئيس الجمهورية.. أشكري ربك لأنني هنا وإلا لكنت مضطرة لزحمة المواصلات.. هذا أولا وثانياً قسماً بالله لن تتحركي من هنا حتى تبدلي هذه الثياب وترتدين العباءة.
_ لن أبدلها، أخبرتك ألا تحاسبني.
_ ستبدليها رغماً عنك.
تدخل البواب :
_ هل من مشكلة؟
التفت اليه (أحمد) قائلاً :
_ هذه هي المشكلة.. بربك ياعم أهذه ملابس ترتديها فتاة محترمة؟
تردد البواب وهو ينظر الى القميص وبنطلون الجينز الضيق وقال :
_ صراحةً .لا.
_ إنتهى النقاش، إما أن ترتدي عباءة وأنتي معي أو أبحثي عن غيري ليكون سائق لك، أنا في الخارج.
يومها بكت (حورية) بشدة متمنية لو تصفعه على وجهه.. ومجبرة إنصاعت لكلامه وأتت لتجلس في المقعد الخلفي للسيارة والغضب يملأ ملامحها.
لم يحدث أن تقابلا في مكان واحد دون أن يتشاجرا..
تذكرت (حورية) ذلك وهي تعتدل في جلستها مستندة بظهرها على الحائط تراقب رقص الفتيات على الأغاني.

كانت (حورية) تنظر الى الباب مترقبةً، خرج الرجل وعادت الشيخة تجلس بينهن وتعاود قراءة الودع..
بعد برهة وجهت حديثها الى المرأة الخمسينية قائلة :
_ أحضري أكواب من (الشربوت) الذي لدينا للفتيات.
إختفت المرأة دقائق معدودة وعادت تحمل مشروب أبيض نقي داخل أكواب زجاجية وزعته على الجميع.
إلتفتت الشيخة الى (حورية) قائلة :
_ هذا مشروب عادي.. ليس مضرا كالتدخين أسمه (شربوت).
ردت (حورية) :
_ تذوقته من قبل.. في عيد الأضحى.
أقتحم (أحمد) عليهن الجلسة وسط دهشة وصيحات الجميع.
_ من أنت؟
_ ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟
شق طريقه بينهن وسحب (حورية) من يدها قائلاً :
_ ثمة شخص يخصني هنا، أما أنتن فلا ضير عليكن.
لم يمنحها فرصة إرتداء حذائها وجرها خلفه الى السيارة حافيةً ليرميها على المقاعد الخلفية..
عجزت (حورية) عن كبت سعادتها وهي تنظر اليه بفرح طفولي.. ، لوهلة ظنت بأنه لن يأتي.
مرت عليهما دقائق صمت ثقيلة وهما في طريقهما الى الشقة.
_ أحمد.
كان صامتا على غير عادته وكأن كارثة أبتلعت لسانه الطويل.
_ أنا أسفه.. ، لم أكن..
_ سجائر وخمرة وبيت دعارة.. اللعنة عليك ياحورية يا أبنة عمي، ربما سآخذك من قسم الشرطة في المرات القادمات.

_ صدقني ليس الأمر كما تظن.
أوقف السيارة على جانب الطريق وهو يصرخ بها :
_ كيف هو اذاً هل قيدك أحدهم وأرغمك للذهاب الى ذلك المنزل.
_لا.
_ الان سنذهب الى الشقة ستحزمين كل أمتعتك وتذهبين معي الى البيت.. ، أقسم برب الكعبة ياحورية إن أرتكبتي غلطة أخرى سأقتلك.
ذعرت (حورية) من حدة غضبه وصراخه بها، إنكمشت على نفسها قائلة :
_ حسناً.

أنزوت(حورية) في المقعد قربه بعد أن وضعت جميع حقائبهافي المقاعد الخلفية..
في منتصف طريقهما الى المنزل أتصل بوالدته وأخبرها بأن تعد غرفة ل(حورية) لأن صاحب الشقة طلب منهن إخلائها فوراً وأستأجرها لشخص آخر..
لأول مرة في حياتها تمنت لو يتشاجر معها كما يفعل دائما.. لو يصفعها.. لو يقل كلمة واحدة فقط تقطع ذلك الصمت الكئيب.
_ أحمد.. على الأقل دعني أشرح لك الأمر، لاتكن عصبي في كل شئ.. ليس كل ماتراه حقيقة.
_ لقد كسرتي قلبي ياحورية.
_ ماذا تعني بهذا، كيف كسرت قلبك؟
_ ليتك لم تكبرين.
_ دقيقة فقط، أنالا أفهم عما تتحدث، كنت في ذلك المنزل لأن المرأة التي تسكن به تقرأ الفنجان والودع.. لم أذهب لشئ آخر، تلك الأشياء التي رأيتها لا علاقة لي بها.. لم أجربها يوماً ومارأيته في الكوب أمامي (شربوت) وليس شئ آخر.
_ الأمر عندي سيان.
_ لماذا أنت هكذا يا أحمد، لو كان أمجد أو علاءالدين هنا لتركالي فرصة الدفاع عن نفسي.
_ كان بوسعك الأتصال بأي منهما، بل بأي أحد آخر في هذا الكون، لماذا أنا؟
_لا أدري، لم أفكر إلا فيك.. صدقني لم يسعفني عقلي ألبته، كان بإمكاني الهروب أو حتى الأتصال بالشرطة لكن كنت أنت الوحيد

حينها وكأن لا أحد لي سواك.. أعلم أنك تظن بي آلاف الظنون لكن لاتحكم علي بعقلك هذه المرة أفسح لقلبك مجالا ليجدلي العذر.
_ الحقيقة المؤلمة أني رجل عقلاني ولا تفسير لسوء سلوكك في نظري إلا بأنك سيئة من الأصل.
أمتلأت عينيها بالدموع وهي تقول :
_ لاتكن قاسياً بهذا القدر، أنا لست سيئة.
كانا قد وصلا الى باب المنزل.. أنزل (أحمد) الحقائب بينما غابت (حورية) داخل المنزل وهي تحاول إخفاء دموعها..
أستقبلتها زوجة عمها بترحيب وهي تقول :
_ لاتحزني ياحورية، هذا منزلك أيضاً.. كانت تنقص أولادي أخت والأن هي هنا.
أستقرت (حورية) في منزل عمها..
تغيرت جذرياً خلال ذلك العام الذي قضته في منزل عمها
باتت لاتهتم بغير جامعتها ودروسها.. تذهب صباحاً الى المحاضرات وتعود فور أنتهائها..
شعرت بدفء الأسرة والبيت وهي تتقاسم وجبات الطعام والقهوة مع عمها وزوجته و أولاده وكانوا سعداء لأن المنزل الذي كانت تنقصه فتاة قد أكتمل..
لم يجمعهما مكان واحد هي و(أحمد)..
وكأن كل منهما يتهرب من الآخر..
لم يعد بينهما مشاجرات ولا أحاديث ولا حتى مجاملات..
لم تمنحه فرصة لذلك فلم تعد ترتدي إلا العباءات وتلتزم الحشمة في كل ثيابها و كأنها تثبت له فعلياً بأنها ليست سيئة..
في أحد الأمسيات طلبت منها زوجة عمها مرافقتها الى حفل زفاف..
أرتدت (حورية) فستان سهرة أسود وتركت بعض خصلات شعرها الأسود تتلاعب فوق جبينها..
_ يا لهذا الجمال ياصغيرتي (علق عمها)
بينما صفر (أمجد) أكبر أبناء عمها معبراً عن أعجابه وهو يضيف :
_ أجزم بأنك ستخرجين من هذا الحفل ب(عريس) من العيار الثقيل.
خرج (أحمد) من غرفته أثر سماعه أصواتهم، ظل واقفاً عند الباب.. نظرت الى عينيه متسائلة.. لم يقل شيئا لكنه أشار إليها بيده أن تعود فوراً وتبدل تلك الثياب..
تمتمت بحزن :
_ لم يعجبني الفستان .لا أشعر بالإرتياح فيه، سأرتدي عباءة.

قفز (علاءالدين) معلقاً :
_ حورية، ملكة جمال الأناقة سترتدي عباءة في حفل؟
رغم كل الأعتراضات خلعت الفستان وتدثرت بعباءتها ورافقت زوجة عمها الى الحفل

كانت تشعر بغصة داخل قلبها الصغير لم تشعر بها في حياتها قط ..
تلك المسافة التي وضعها (أحمد) بينهما تؤلمها بشدة ..
من قبل كانت ستفعل المستحيل حتى لاترى وجهه لكنها اليوم تفعل المستحيل ليرى وجهها بتلك الطريقة النقية التي كان يراها بها من قبل ..
حاولت جهدها أن تبدو سعيدة في الحفل حتى لاتثير قلق زوجة عمها الطيبة .
عند عودتهما توجهت فورا الى غرفتها مدعية بأنها متعبة وترغب في النوم ..

أرتدت ثياب النوم وأستلقت على فراشها تبكي ..
- حورية
بدا لها الصوت شبيه بصوت أحمد ،
لكنها لم ترفع رأسها لأنها تعلم بأنه لن يأتي.
أغمضت عينيها بشدة حتى لايلاحظ أحد دموعها .
- حورية ، هل يمكنني التحدث معك أعلمبأنك لم تنامي بعد .
كان هو ..
- أحمد ؟
حاولت الجلوس مسرعة وهي تكاد لاتصدق بأنه هنا ، في غرفتها .
- لماذا تبكين؟
مدت يدها تمسح الدموع من عينيها وهي تبتسم له بحزن
- أشتقت لأمي
جلس قربها قائلا بصدق :
- أنا أعتذر ، لم يكن من الصواب أن أعاملك بتلكالطريقة، أنا أعرفك منذ الطفولة وأثق ببراءتك لكن لا أدري ما حدث ،لم أتحمل رؤيتك في ذلك المكان ، خفت عليك كثيرا ، لو لمترسلي لي تلك الرسالة لكنت فقدتك للأبد ، أخافنيهذا الأمر كثيرا.
وكأن كلماته ذادت دموعها فلم يعد بوسعها أن تكف عنالبكاء وتمتمت:
- أنا لست سيئة
- أعلم، أنتي أفضل فتاة ألتقيت بها في حياتي ، سامحيني رجاء"
- غطت وجهها بكفيها وأنفجرت في نوبة بكاء .
ضمها أحمد الى صدره بحنو وهو يقول :
- أنا معك ، مهما حدث أنا معك ، ثقي بي كما كنتي تفعلين دائما، وشئ آخر بعد أرغب في قوله لك لكن عليك أن تتوقفيعن البكاء أولا لأخبرك به .
رفعت رأسها نحوه وهي تحاول منع دموعها من الإنهمار:
- ماذا ؟
نظر الى عينيها بحب متسائلا :
- ألا تعلمين ؟
هزت رأسها نافية
- ماذا ؟
- لاحقا ، نامي الأن .
طبع على جبينها قبلة إعتذاردافئة وخرج .
ظلت تنظر الى الباب الذي خرج منه والأفكارتملأ رأسها .
كانت سعيدة لأنه غفر لها أخيرا و عادت علاقتهما كالسابق ..
لكنها رأت في عينيه شيئا لم تراه من قبل ..

ما الذي كان يرغب في قوله لها وتراجع عنه في اللحظة الأخيرة ..
وعندما عجزت عن معرفة ما كان سيقوله أستسلمت للنوم وهي تشعر بسعادة لم تحسها منذ وقت طويل .
غفت ودقات قلبها ترسم أسمه مع كل نبض ، كان قريبا منها جدا رغم المسافة بينهما ، تلك النظرة في عينيه تكفيها لألف عام ،

في صباح اليوم التالي أيقظتها سمية زوجة عمها من النوم بإبتسامتها الودود ثم توجهت للمطبخ لإكمال ماتبقى لها من تجهيزات الإفطار.
نهضت حورية بتكاسل وهي تتذكر ما حدث بالأمس وكأنهاكانت في حلم جميل ..
أخذت حماما وأرتدت عباءة طويلة محتشمة كعادتها مؤخرا وأنضمت الى البقية حول طاولة الطعام في المطبخ ..
كان عمها يرتشف قهوته الصباحية وهو يقرأ الجريدة ،
بينما كان أمجد وأمه يناقشان الموضوع ذاته كل صباح وهو بخصوص الفتاة التي يرغب أمجد في خطبتها وأمه لاتقبل بها ،
علاءالدين مشغول بهاتفه بيد ويتناول كوب عصير باليد الأخرى، أحمد كان يأكل متابعا بصمت حديث أمه وأمجد دون أن يعلق .
ألقت عليهم التحية وجذبت كرسيها وجلست ..
وضعت سمية أمامها كوب العصير وصحن من البيضالمسلوق والجبن وهي تقول :
- حورية بعد أنتهاء دوامالجامعة سأنتظرك لنذهب الى السوق معا ، سنذهب لطلب يد الفتاة .
شهقت حورية بفرح وهي تقول :
- وأخيرا.
علق أمجد من خلف ضحكته :
- لقد أنتصرنا .
ردت سمية مستسلمة:
- أنت المسئول عن قرارك ، لكن تلك الفتاة لم تعجبنيولن تعجبني.
قال علاءالدين وعينيه لاتفارق شاشة هاتفه الجوال :
- يكفى بأنها تعجب أمجد وتعجبنا نحن .
زجرته سميه :
- أنت سبب كل هذه المصائب ، إن لم تشجعه عليها ما كناوصلنا إلى هنا .
لا يا أمي ، أنها حب حياتي ولم أكن لأتخلى عنها .
- حتى لو طلبت منك ذلك .
- الحمدلله أنك لم تطلبي.
أكملت حورية كوب عصيرها وهي تقول :
- لكن يا ماما سميه ماذا نفعل في السوق ؟ لدينا كل شئ تقريبا .
جلست سميه قربها وهي تقول :
- يجب أن نحضر بعض أغراض الخطوبة ونشتري لنا أناوأنتي ملابس جديدة ، كفاك من تلك العباءات ياصغيرتي .

نظرت حورية الى أحمد بطرف عينها وهي ترد

- لالا أنها جيدة ، لقد أعتدت عليها .
نظروا اليها بغرابة وقال عمها :
- هل أنتي بخير يا أبنتي ؟
هزت رأسها مؤكدة :
- بخير .
تدخل أحمد حاسما الموضوع وهو يراها تنظر اليه بتساؤل:
- أذهبي أنتي يا أمي ، لدي عمل بالقرب من جامعة حوريةسأمر عليها وآخذها الى السوق لتختار ما يناسبها .
صاح به علاءالدين:
- أنت لا .
- لماذا ؟
- لن تتفق معك ، ستفسد عليها يومها .
أكدت سمية حديث علاءالدين:
- صدقت، لن تذهب معك يا أحمد، أنت تعترض على ثيابها دوما، سأنتظرها ونذهب معا .
أنهت سمية النقاش ، فلم يعترض أحمد ولم تقل حورية شيئا .
بعد الإفطارذهب كل منهم الىعمله وغادرت حورية مع عمها في سيارته الى الجامعة كالعادة .
أحمد وأمجد كلاهما مهندسان تخرجا من كلية الهندسةالمدنية ويملكان شركة واحدة يعملان بها معا ، أما علاءالدينأصغرهم طبيب عمومي يعمل بأحد المستشفيات الخاصة .
عمها محامي معروف وله مكتب يخصه أما سمية زوجتهفقد أكملت دراسة التغذية من أفضل الجامعات لكنها فضلتالبقاء في المنزل لرعاية عائلتها عوضا عن العمل .

لم تغادر مقعدها بعد أنتهاء المحاضرة الأخيرة وظلت تنظر الى هاتفها الذي يقبع بسكون أمامها .
كانت تفكر في الإتصال بأحمد ،
لكنها كانت تتراجع في كل مرة .
لم تكن تدري ماذا تفعل ،
هل تذهب مع سميه الى السوق أم لا .
رن الهاتف قاطعا عليها شتات أفكارها .
كان المتصل أحمد ..
ردت بصوت ضعيف خائف وأول ما خطر على بالها هو أنه أتصل ليحذرها من الذهاب إلى السوق .
- مرحبا .. أحمد .
- أنا أمام الجامعة أنتظرك، أخرجي .
- حاضر .
جمعت أغراضها بسرعة وغادرت تسابق خطواتها الى بوابة الجامعة الخارجية .
لمحته هناك ،
داخل سيارته ينتظرها .
فتحت باب السيارة وجلست دون أن تقول شئ .
نظر اليها مبتسما برضا ثم أدار محرك السيارة وأنطلق بها .
- هل تصالحنا ؟
- أجل .
أزالت إبتسامته كل مخاوفها فأعتدلت في جلستها وهي تستفسر ببراءة:
- هل سمحت لي بالذهاب الى السوق مع ماما سميه ؟
لا .
تمتمت في حزن :
- لماذا ؟
- لأننا سنذهب معا .
- معك أنت ؟
- أجل.
- الى السوق ؟ قالتها في أسى
- أجل.
تنهدت بحسرة ثم نظرت الى النافذة تتأمل الطريق .
لم تسرها فكرة أن يرافقها أحمد الى السوق ،

فهذا يعني بأنها ستشتري عباءة أخرى وتضيفها الى القائمة لديها .
- ماذا بك ؟ ألا ترغبين في الذهاب معي ؟
- لن أكذب عليك ، لا أرغب .
- لاتقلقي لن نشتري عباءة هذه المرة ، سأترك لك الخيار بشرط أن تختاري شئ يليق بك ومحترم في ذات الوقت .
كانت جملته الأخيرة قاسية ،
فهو يعلم أن كل الثياب التي كانت ترتديها ليست محترمة تماما وتفصل جسدها الفاتن تفصيلا .
- لن يعجبك ذوقي .
- بل العكس ، ذوقك يعجبني دائما لهذا السبب لا أرغب في أن تشاركيه مع الآخرين ، كل ما ترتدينه يبدو عليك جميلا .
لمعت عينيها سعادة وهي تقول :
- حقا .
- حقا .
- لماذا إذا منعتني من أرتداء تلك الثياب إن كانت جميلة علي ؟
- لأنني ببساطة أغار عليك .
تحجرت الكلمات في شفتيها وهي تحاول تفسير كلماته .
أضاف قائلا :
- لايحق لأي رجل غيري أن يراك جميلة وإلا أقتلعت عينيه من رأسه .
كانت تنظر الى جانب وجهه القريب منها بذهول وكأن كلماته تأتي من مكان بعيد ..
كان واضحا وغامضا، لم تفهم من حديثه شئ وفهمت كل شئ .
- حورية
- نعم .
- هل أبتلعت لسانك ؟
لا
- لماذا أنتي صامتة إذا" ؟
لا أعرف
- لاتعرفين ماذا ؟
- تلك الأشياء التي تقولها ، لايمكنني الرد عليها ؟
- لماذا ، ألا تشعرين مثلها ؟
لم تتمكن من الرد عليه ، كان يحاصرها بطريقة عجزت فيها حتى عن التنفس .
- حورية .
- نعم .

- أريد جوابا على سؤالي .
- أي سؤال .
- ألا تشعرين بما أشعر به ؟
- ماذا تعني ؟
أمسك يدها الصغيرة بيده وهو يوقف السيارة على جانب الطريق .
شعرت بتيار غريب يسرى من يده اليها وحاولت أن تخلص يدها من قبضته لكنها لم تفلح .
- سؤالي واضح جدا ؟
تلك النظرات في عينيه أخترقت قلبها وجعلته هشا وكأنه سيكسر من فرط هشاشته.
- أحمد ، سنتأخر .
- لنتأخر، لن نتحرك من هنا حتى تردي على سؤالي .
- ماذا أقول ؟
- لايمكنني أن أخبرك ماذا تقولين ياحورية ، هذا السؤال تحديدا إجابته ليست عندي .
- أترك يدي .
لا ، أخبريني أولا .
- أنت تصعب الأمور علي .
- هل تشعرين بما أشعر به .
لا أدري .
- حورية ، لاتعذبيني أكثر أرجوك ، أرغب في إجابة واضحة .
- ربما.
- ربما ماذا ؟
لا أدري يا أحمد ، ما أشعر به لايمكنني أن أقوله .
- أنا أحبك يا حورية ، لقد سقطت في حبك كليا لدرجة لم أعد أدرك فيها ما أفعله ، أحببتك لدرجة فقدت فيها كل عقلانية لدي وأرغب معها في إحتجازك بين أضلعي الى الأبد ، أنا أحبك جدا وفوق كل تخيلاتي.
كانت معلقة بعينيه، بكمية المشاعر الهائلة التي أنفجرت منهما ، شعرت بدقات قلبه تعانق أناملها وحرارة أنفاسه تغطي وجهها .. كانت مقيدة به بشكل لايوصف وكأنها تدور حول مغناطيس من السحر والخيال .
- أحمد .
- يا لأسم أحمد من بين شفتيك أنتي تحديدا دون كل البشر .
- أنا أيضا أحبك.

رن هاتف حورية قاطعا عليهما لحظات عشقهما الأولى ..
نظرت الى الهاتف وهي تسحب يدها مسرعة وتبتعد عنه ..
- إنها ماما سمية .
- ردي عليها .
وضعت الهاتف على أذنها وهي تقول بحياء وكأنها قبضت متلبسة بجرم:
- مرحبا ماما سميه
جاءها الرد من الطرف الآخر
- حورية ألم تنتهي بعد، أنا أنتظرك
- لقد أنتهيت
- أسرعي في العودة
- لايمكنني أنا الأن في طريقي إلى السوق مع أحمد
- يا الله ، لم يهتم لكل حديثنا ذاك ، أعطه الهاتف .
مدت هاتفها لأحمد قائلة:
- تريد التحدث اليك .
إخذ منها الهاتف
- نعم يا أمي .
- أعد حورية الى المنزل حالا ، لايمكنك أن تفرض عليها شيئا لا تريده ، أنت لاتعرف التعامل مع الفتيات لاتخيفها يا بني أنها وحيدة وضعيفة ليس لها غيرنا .
رد عليها ضاحكا :

- لاتقلقي ـ لن أتدخل سأدعها ترتدي ما يحلو لها ـ أخبرتك بأن لدي عمل قرب جامعتها ، أذهبي أنت ، سأحضرها بعد أن تتسوق .
- أرجوك لاتخيفها يا بني ، لا شأن لك بثيابها، هل فهمت ؟
- فهمت يا أمي ، فهمت .
- أشك في ذلك لكنني سأثق بك هذه المرة ولنرى ما سيحدث.
- لن يحدث إلا ما تريدينه إنتي يا أمي.
- حسنا ، وداعا
- وداعا.
أنهى المكالمة ومد لها الهاتف .
- ماذا قالت ؟
- طلبت مني عدم إخافتك وتركك على راحتك ـ هل تخافين مني كما تقول أمي ؟
كان سؤاله مفاجئا
- أحيانا ، عندما تبدو قاسيا وشريرا.
- أنتي تمزحين، من منا عليه أن يخاف من الآخر .
- أنا طبعا .
لا أريدك أن تخافي مني من الأن وصاعدا، أتفقنا.
- أتفقنا .
أكملا طريقهما الى السوق، وهناك جلس أحمد على مقعد جانبي وتركها تختار ما تحب.
لم يكن بحاجة لأن يخبرها مرة أخرى نوعية الثياب التي عليها أن تأخذها فقد أختارت من تلقاء نفسها فساتين جميلة وواسعة ومحترمة.
بعد الإنتهاء من عملية التسوق أقترح عليها الذهاب إلى السينما ووافقت فورا وهي تكاد تطير فرحا.
بدأت تتعرف على أحمد آخر لم تكن تعرفه من قبل .
رجل يحيطها بدفء قلبه ، ويخاف عليها حتى من نفسه.
جلست قربه على مقاعد السينما وعلبة الفشار بينهما ،
كان فيلم أمريكي جميل مليئ بالإثارة والأكشن .
أنحني نحوها هامسا في أذنها خشية إزعاج الآخرين :
- لدي عرض جيد لك ؟
نظرت الى عينيه في تساؤل
- يمكنك أن تضعي رأسك على كتفي ـ أشعر بأنك متعبة ـ كما يمكنك النوم لو رغبت في ذلك .
كان يعلمها عدم الخوف منه ،
يعلمها الثقة به والاطمئنان قربه .

أقترب منها وأحاطها بيده حتى تتمكن من وضع رأسها براحةعلى كتفه .
أخترقت رائحة عطره الفرنسي أنفها حتى عجزت عن التنفس .
- يمكنك الأسترخاء يا حبيبتي، أنا منشغل بأحداث الفيلم .
- رائحة عطرك رائعة .
- أعلم.
ضحكت بنعومة وهي تغمض عينيها:
- لاتكن مغرور .
- أنفاسك متسارعة ، أشعر بحرارة في عنقي .
- لم أتعود على أن أكون قريبة منك بهذا القدر .
- لن تكوني أبعد من هذا بعد الأن .
- ماذا تعني ؟
ضمها الى صدره هامسا :
- هذا مكانك ، تعودي أن ترتاحي به .
- وكأنني لم أعد أخافك .
- لن أسمح للخوف أن يكون بيننا ياحبيبتي، يمكنك أنتسترخي وتبعدي عن عقلك كل الأفكار الأخرى لاحقا.
تنهدت بحب وحاولت أن تغفو على رائحته بعيدا عن كل الكون .

- حوريتي.. حوريتي .
كانت تسمع صوته من مكان بعيد وهي تحاول جاهدة فتح عينيها ..
- كفاك نوما ، لقد تأخر الوقت يجب أن نعود الى المنزل .
رفعت رأسها نحوه بتكاسل وهي تهمس بدلال :
- أشعر بالنعاس، أكمل الفيلم ودعني أنام قليلا .
- أنتهى الفيلم منذ ساعة هذا أولا وثانيا لايمكنني مقاومةهذه النظرة المغرية في عينيك أكثر، أنا لست مسئول عما سيحدث .
حاولت تفسير كلماته وهي تقاوم النوم وقبل إن تتمكن منالرد عليه كان قد أبعدها عنه ووقف .
مسحت عينيها بيديها وهي تحاول الوقوف لتتبعه الى خارجقاعة السينما .
في طريق عودتهما ظل إحمد صامتا بينما إكملت هي نومهاعلى المقعد قربه طيلة الطريق إلى المنزل.

شعرت به يقبلها على خدها هامسا :
- لقد وصلنا يا أميرتي الصغيرة ، ليس من الجيد أن أحملك حتى غرفتك وإلا سيشك بنا الجميع .
- هل وصلنا .
- أجل.. هيا ، وإلا أيقظتك بطريقتي الخاصة.
أعتدلت في جلستها بسرعة وهي تحاول فتح باب السيارة ..فآخر ما ترغب في معرفته الأن هو طريقته الخاصة لإيقاظها.
لحقت بها ضحكته وهي تخرج من السيارة وتبحث عن خطواتها نحو باب المنزل .
عند دخولها وجدت سميه في إنتظارها .. وسألتها فورا عن الأشياء التي أشترتها بعد أن عانقتها بحب أمومي..
نظرت سمية الى الأشياء التي جلبتها حورية من السوق بإعجاب وقالت
- جميعها رائعة ، خذيها الى غرفتك وارتاحي تبدين متعبة .

وافقتها حورية الرأي وأنسحبت الى غرفتها وكأنها تخشى أن تكتشف سمية دقات قلبها المضطربة ومشاعرها نحو أحمد .
وضعت الثياب في الخزانة بنظام وهي تبتسم بسعادة وذكريات هذا اليوم تلوح أمام عينيها..
كانت كما لو أنها في حلم جميل طالما أرادت أن تكون به أحمد يحبها ..
أي سعادة أكثر من تلك ..
من فرط فرحتها أخذت تدور وترقص مع نفسها بإستمتاع وحب ..
أخذت حماما وأرتدت ثياب النوم وجلست على المقعد قرب فراشها تتأمل صورته على هاتفها ..
تاهت بين ملامح وجهه وكأنه أمامها..
يا إلهي.. إنها تعشقه كما لم تفعل من قبل ..
كما لو إنها وجدت روحها الغائبة..
لو أنها لم تعد تشعر بالغربة والخوف والإحتياج..
لا ترغب في أكثر من هذا ..
هذا الحب كافيا لأن يحول حياتها الى جنة وأفراح..
وكأنها وجدت نفسها في عينيه ..
كانت تعيش حالة من اللاوعي لايمكن وصفها وهي تسرح بين ملامحه في الصورة ..
أحست بالشوق اليه وكأنه لم يكن معها منذ قليل ..
راودتها فكرة الذهاب إلى غرفته ..
أنها لاتبعد كثيراعن غرفتها..
بينهما فقط ممر طويل يقود الى غرفة عمها ثم غرفته..
يستحق أن تخاطر لأجله ..
خلعت صندلها المنزلي المريح ومشت حافية على أمشاط قدميها نحو غرفته ..
يبدو المكان هادئ في الخارج .. وكأن الجميع قد خلد للنوم ..
فتحت باب الغرفة بهدوء وأغلقته خلفها بحذر وسرعة فور دخولها .
كان مستلقيا على فراشه ينظر الى سقف الغرفة ويفكر ..
هب واقفا عندما رآها ..
- حورية ، ماذا تفعلين .
توجهت نحوه والابتسامة تملأ ثغرها
- أشتقت اليك .
- آه يا حورية ، لا يمكنك أن تكوني هنا ، عودي الى غرفتك ولنتحدث في الصباح.
جلست قائلة بإصرار :
- لن أعود .

- حورية .
- لن أعود .
لم يجد مفر أمام عنادها الطفولي من أن يدعها تبقى .
- قل شيئا .
- إن لم تذهبي الأن فأنا لست المسئول عما سيحدث لاحقا.
قالت بتحدي :
- ما الذي سيحدث لاحقا ؟
أمسك يدها وهو يشدها نحوه بحب قائلا :
- ماذا في رأيك ؟
طوقت عنقه بيديها وهي تعانق الحب في عينيه :
- ربما ستروي لي قصة ما قبل النوم .
- لا .
- تغني لي أغنية أو تقوم بطردي خارج غرفتك .
أحاط جسدها بزراعيه قائلا :
- لا .
لم تكن يوما قريبة منه بهذا القدر ، كانت رجولته طاغية للحد الذي لم تستطيع فيه مقاومته، مقاومة عينيه والشوق القاتل فيهما ..
فاق كلاهما من سكرة الحب على صوت نوبات سعال حاد قادمة من ناحية الباب ..
وحين ألتفت كلاهما الى مصدر الصوت كانت المفاجأة ..
أمجد يقف خلف الباب ينظر اليهما بذهول وصدمة .
تركها أحمد وسحبت يديها من عنقه ووقف كلاهما ينظران الى أمجد بعجز .
- ماذا يحدث هنا .
قالها أمجد الذي أغلق الباب وأصبح ثالثهما في الغرفة .
ظلا صامتين ، لم يكن ثمة كلمات يمكن قولها في موقف كهذا .
- ماذا يحدث هنا ؟ ومنذ متى ؟
تمتمت حورية عندما رأت نظرات الغضب الموجه من أمجد لأخيه :
- لا شئ ، أقسم لك ..
أسكتها أمجد غاضبا:
- سؤالي لأحمد يا حورية وليس لك .
نظر اليه أحمد معتذرا وقد شعر ببشاعة ما كان يوشك على فعله .
- ليس الأمر كما بدا لك .
-إذا كيف هو
- أمجد ، دعني أشرح لك .
- أمن الرجولة أن تغوي أبنة عمك وفي منزلك ؟
- أمجد ، ألتزم حدودك .

- علم نفسك الحدود أولا ثم ألزمني بها .
وقفت حورية بينهما قبل أن يضرب أحدهما الآخر وهي تفسر لأمجد:
- نحن نحب بعضنا .
النظرة في عينيه أخافتها بشدة وهو يصيح بها :
- أذهبي الى غرفتك فورا، سنتحدث لاحقا.

أنصاعت حورية الى أمجد مجبرة وتركتهما وخرجت ..

تسللت الدموع من عينيها وشعرت بالخوف ..

ما كان يجب أن تذهب إلى غرفة أحمد ..

ما فعلته سيوقع أحمد في مشاكل كبيرة هو في غنى عنها ..

لم تتمكن من النوم وهي ترسم في ذهنها صورة تلو الأخرى،عما يدور هناك بين أمجد وأحمد والى أين سيصل بهما النقاش،الحاد الذي تركتهما عليه..

أخر ما كانت ترغب فيه هو أن توقع بين أمجد وأحمد ،علاقتهما رائعة جدا ..

هما أكثر من صديقين ويحبان بعضهما كثيرا..

لايمكن أن تفرق بينهما لمجرد حبها لأحدهما ..

طمئنت قلبها بأن أحمد قادر على إقناع أخيه وإخباره،الحقيقة كاملة ..

ظلت تتقلب في نومها بقلق ولم تعرف الهدوء حتى أشرقت شمس الصباح..

كانت ترغب في الخروج،من غرفتها والتحدث،مع أحمد لكن خوفها من أمجد منعها ..

أخيرا قررت أن تتصل به ..

سيكون بمفرده الأن فلن يبقى أمجد هناك كل الليل ..

أنتظرت رده..

- أحمد .. هل أنت بخير

- بخير ياحبيبتي،بخير ، لاتقلقي.

- ماذا حدث أخبرني بالتفصيل؟

- لاشئ مهم ، لقد تحدثنا فقط .

- أنا أعتذر .

- لماذا ، ما ذنبك أنت ؟

- لو لم آتي الى غرفتك ما حدث كل هذا .

- ليس الأمر هكذا ، أسعدني مجيئك فقد كنت أفكر بك في اللحظة ذاتها وأتمنى رؤيتك.. حوريتي.. سيكون كل شئ على ما يرام ، أمجد محق فيما قال ما كان يجب أن أعانقك بتلك الطريقة على فراشي وفي غرفتي ، لقد تجاوزت كل الحدود وحمدا لله أن أمجد كان هناك في تلك اللحظة، لذا قررنا أنا وهو أن أخرج من المنزل لحين نتمكن من إخبار الجميع ونتزوج.. أنا أحزم حقيبتي الأن سأذهب إلى منزل صديقي .

- أحمد لاتذهب ، كيف ستتركني هنا وحدي ؟

- لست وحدك ياحبيبتي، أنتي في منزلك .

لا ليس منزلي ، أنت أحضرتني الى هنا، لايمكنني أن أبقى دونك .

- بحق الله عليك ياحورية حاولي أن تفهمي الوضع قليلا .

- لن آتي الى غرفتك مرة أخرى ، أعدك يا أحمد أعدك .

- حوريتي، سأخرج الأن دعينا نتحدث عندما أصل .

- أحمد أرجوك لا تذهب لايمكنني أن أبقى دونك .

- أسمعيني يا حبيبتي أنا معك دائما ، خروجي من المنزل لايعني بأني سأتركك، أنها فترة مؤقتة ، سأبقى أحبك إن كنت بعيد أو قريب .

كانت تبكي بشدة ،

رمت الهاتف على المقعد وجرت الى غرفته لتمنعه من الذهاب ..

- حورية .

لم تتوقف لمناداة سمية وواصلت طريقها اليه..

وجدت الحقيبة في المنتصف وثيابه داخلها ..

كان ذاهبا ..

سيتركها خلفه ويمضي لمجرد أنها أتت شوقا الى غرفته ..

ظلت تبكي بحرقة وهي تتوجه اليه

- أحمد ، خذني معك .

كانت تقف أمامه باكية وخلفها أمه وأمجد وعلاءالدين ..

- حورية ، لاتبكي أرجوك .

حاول تهدئتها وتدخلت سمية وهي تضمها نحوها بخوف وقدسقط قلبها بين قدميها :

- أحمد ماذا فعلت للبنت ، أخبرتك ألا شأن لك بها يا أبني .

رد عليها أمجد :

- حورية وأحمد يحبان بعضهما يا أمي .

توجهت نظرات سميه وعلاءالدين الى أمجد مستنكرة ما قاله ..

وكانت حورية تبكي في أحضان سميه حتى بللتها بدموعها..

وأخيرا صرح أحمد موجها الحديث الى أمه :

- أمجد لايكذب يا أمي ، أنا أحب حورية وقررنا أن نتزوج، يبدوأن الوقت قد حان لإخبار الجميع .

وصلت تلك الجملة الى أسماع والده الذي كان يقف خلفالجميع مستفسرا عما يحدث هنا منذ الصباح .

- أبي ، أرغب في الزواجمن حورية على سنة الله ورسوله.

أخرصتهم الصدمة ،

لم يعلق أحد ..

كان الموقف بمثابة مفاجأة للجميع..

فالمستحيل قد يحدث لكن أن يحب أحمد وحورية بعضهمافهذا شئ غير ممكن وضرب من الخيال ..

إنهما أعداءولا يطيق أحدهما الآخر فكيف حدث هذا الحب ومتى ..

قال أمجد :

لا تحل الأمور هكذا ، لنجلس جميعا ونفهم ما يحدث .

قال والدهم والصدمة تقفز من خلف عينيه:

- نعم ، تعالوا معي وأخبروني ما كل هذا .

جلسوا في الصالة منتظرين التفسير المنطقي لكل ما حدث قبل قليل ..

قال عمها وهو يشير الى المكان الفارغ قربه :

- تعالي ياحورية أجلسي قربي ياصغيرتي وأخبريني ما بك، أقسم أن أطرد من تجرأ عليك من هذا المنزل الآن وأتبرأ منه .

كانت تلتقط أنفاسها بعد نوبة البكاء التي أنتهت منها ،

جلست بجانب عمها وقبل أن تتمكن من إخباره شيئا قال أحمد :

- أبي ، دعني أشرح لك .

رمقه والده بنظرة جعلته يكتم ما يرغب في قوله داخل فمه ويسكت منصاعا.

- حورية ، أنا أسمعك يا أبنتي .

- أنا أحب أحمد ياعمي ، وكان سيتركني ويذهب .

- ماذا تعني بأنك تحبين أحمد ؟ هو بمثابة أخيك من الطبيعي أن تحبيه .

- أرغب في الزواج من أحمد ياعمي ، لايمكنني العيش دونه .

أخذ عمها وقتا ليستوعب ما تقول .

طال الصمت ، لم يجرؤ أحد على النطق بكلمة واحدة وتوجهت كل الأنظار نحو والدهم تنتظر رده .

أخيرا قال :

- منذ متى تحبينه ؟

ردت بإستحياء وهي تنظر الى قدميها الحافيتين:

- أكتشفت مشاعري نحوه مؤخرا.

- منذ متى بالتحديد ؟

قاطعهما أحمد موضحا:

- أبي ، لسنا في محكمة لتستجوبنا بهذا الشكل ، الكل يحب ، لم نرتكب خطيئة ، كنا سنخبرك بعد زواج أمجد ، الأن أنا أطلب يد حورية منك ثم من والدها وأعلم بأنك لن تعارض لأنك تتمنى من كل قلبك لو ظلت معنا هنا للأبد كأبنة لك .

نظر اليه والده مفكرا ، وأمام الإصرار الذي رآه في عينيه والحب المفاجئ الذي ولد في منزله ، قرر

- سيتم زواجكما معا ، أمجد وشيرين وأحمد وحورية ، ولن أقبل أي نقاش في هذا الموضوع بعد الأن ، وأنت يا أحمد ستغادر المنزل لحين يكتمل زواجك من حورية ، أذهبوا الأن ودعوني أتصل بأخي .

جذبتها سميه نحو المطبخ وهي تطلب منها أخبارها بكل التفاصيل ومنذ البداية ..

لم تجد حورية معارضة منهم ، فقد كانوا يحبونها جدا وسعيدين لأنها ستصبح فردا دائما في عائلتهم .

كانت سمية زوجة عمها أكثرهم سعادة ..

حيث قالت لحورية بسرور :

- لقد أستجاب الله دعواتي ، لقد تمنيتك زوجة لأحد من أبنائي ويشهد الله على ذلك .

ردت حورية بحياء :

- حقا

- دعوت الله كثيرا لأن تكوني من نصيب أحدهم، لايمكنني أن أجد أفضل منك ياصغيرتي.

- ولا أنا سأجد بعد أمي أحد يحبني مثلك يا ماما سميه .

في الأيام التالية بدأت الترتيبات للزواج وجاء أهل حورية من الإمارات وأنتقلت الى منزل والديها لتخرج منه عروسا .

عندما يتعلق الأمر بالفرح تمضي الأيام مسرعة ..

تحقق حلم حورية وتزينت ذات ليلة مضيئة بالفستان الأبيض وأمسكت يد حبيبها كل العمر .

ذلك الرجل الذي لايمكنها أن تشعر بالأمان والطمأنينة بعيدا عن قلبه الكبير .